وهي على يسره لوم ولسلة قوله ولدا ونافلة فولفيض ووهبنا له اسحق ولدا بعد اسمعيل ويعقوب
نافلة حيث ولد من اسحق قوله ولذكر اى وكون المقصود الامتنان عليه بهبة الولد والنافلة
في كبر سنه لم يذكر اسمعيل مع انه من اولاده لان ابراهيم كان ابن ست وثمانين سنة اذ ولدت
هاجر له اسمعيل عليه السلام وكان ابن مائة سنة اذ ولدت له سارة اسحق عليه السلام
وقد اتى عليه تسعون سنة وكان اسمعيل ح ابن اربعة عشر سنة قوله فكثر منهم الانبياء عليهم السلام
فان الله تعالى لم يبعث نبيا بعد ابراهيم الا من نسله فان قيل كيف جاءت النبوة في
اولاد اسحق اكثر من النبوة في اولاد اسمعيل مع استوائهما في الانتساب الى شيخ الانبياء وكون
اسمعيل اكبرهما سنا قال الامام في جوابه قسم الله تعالى الزمان من وقت ابراهيم عليه السلام
الى القيمة قسمين والناس الجميعين والقسم الاول من الزمان بعث الله فيه انبياء فيهم جمع وجاء اثرى
واحد بعد واحد ويجتمعون في عصر واحد كلهم من نسل اسحق عليه السلام في القسم الثاني من الزمان
اخرج من ذريته ولد الاخر وهو اسمعيل واحدا جمع له جميع ما كان فيهم وارسله الى كافة الخلق
وهو محمد المصطفى عليه افضل الصلاة والسلام وجعله خاتم النبيين وامام المرسلين
وقد دام الدين على دين اولاد اسحق اكثر من الف سنة ولا يبعد ان يبقى الخلق
على دين ذرية اسمعيل عليه السلام مثل ذلك المقدار وعرضي حكمة ما اتاه الله تعالى من الاجر
في الدنيا انه كان اولا لا جاه له ولا مال له وهو غاية اللذة الدنيا ثم اتاه الله اجره
من المال والجاه فكثر ماله حتى كان له من المواشي ما علم الله تعالى حتى قيل انه كان له
اثنى عشر الف كلب حارس باطواق من ذهب واما الجاه فانه صار يكثر الصلوة عليه الصلوة على
سائر الانبياء الى يوم القيمة وصار معروفا بشيخ المرسلين بعد ان كان خاملا حتى قال قائلهم
سمعنا فتى يقال له ابراهيم وهذا الكلام لا يقال الا فيمن كان مجهولا بين الناس قوله عطف على
ابراهيم او على ما عطف عليه يجوز عطفه على ابراهيم سواء كان ابراهيم معطوفا على نوحا او منصوبا باذكر
واما كون قوله ولوطا معطوفا على نوحا فانما يجوز على تقدير ان لا يكون ابراهيم منصوبا باذكر لانه لو كان
منصوبا باذكر لا بد ان يكون اذكر مع ما في حيزه فاصلا بين المعطوف والمعطوف عليه ولم يجز ذلك
قوله المص هذا اشارة الى الاختلاف في المعطوف انه هل هو معطوف على المعطوف الاول
وجه الاول قرب المعطوف من المعطوف عليه ووجه الثاني قرب المعطوف عليه من العامل
قوله الفعلة المبالغة في القبح لان كل واحد من الشهوة والغضب صفتان تدعوان الى
المصلحة الداعية الى خلقها لما خلقها الله تعالى في الانسان والمصلحة في خلق الشهوة الزوجية وهي بقاء
النوع ببقاء الاشخاص وذلك انما يكون لوجود الولد وبقائه بعد الاب فظهر ان كل واحد من الزنا

٦٥٩

ميتانة

الزنا واللواطة فاحشة فان الزنا وان كان مؤديا الى وجود الولد لكنه لا يتم به لان المرأة
اذا اشتهت لا يقرب الوالد ولا يقوم بتربيته والانفاق عليه فيضيع الولد ويهلك فتبين ان الزنا
ليس فيه مصلحة البقاء فلذلك قال الله تعالى ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة فاذا كان الزنا شهوة
قبيحة خالية عن المصلحة مع انه يفضي الى وجود الولد تبين كون اللواطة فاحشة بطريق الاولى
قوله في مجالسكم الغاصة اى الممتلئة باهلها فان النادي انما يطلق على المجلس ما دام فيه
القوم وكل ما كان اخفاؤه معصية فابداؤها افحش واقبح ولذلك قيل من لقي جلباب الحياء
فلا غيبة له والخذف بالخاء المعجمة رمي الحصاة بين العصاة وروي عنه عليه السلام انهم كانوا
يخذفون اهل الارض ويسخرون منهم وقيل كانوا يجلسون على الطرق وعند كل واحد قصعة فيها حصى
فمن مر بهم خذفوه فمن اصابه منهم فهو احق به فيأخذ ما معه وينكحه ويغرمه ثلثة دراهم
ولهم قاض يقضي بينهم بذلك ومنه قولهم هو اجور من قاضي سدوم قوله
لان المعنى الاستقبال واسم الفاعل انما كان للاستقبال فيكون مهلكوا مضافا الى معموله فكانت
اضافته لفظية لما دعى لوط على قومه بقوله رب انصرني استجاب الله تعالى دعاءه وارسل
ملائكة لاهلاكهم قومه وجعلهم مبشرين ومنذرين حيث جاؤا ابراهيم وبشروه
بذرية طيبة ثم قالوا انا مهلكوا اهل هذه القرية وقدموا البشارة على الانذار
لكون البشارة اثر الرحمة والانذار اثر الغضب ورحمة الله سابقة على غضبه ثم ان ابرهيم
عليه السلام لما سمع قول الملائكة انا مهلكوا اظهر الاشفاق على لوط ونسي نفسه وما بشروه
ولم يظهر له فرحا وقال ان فيها لوطا ثم ان الملائكة لما راوا ذلك منه زادوا عليه وقالوا انك
ذكرت لوطا وحده ونحن ننجيه وننجي معه اهله فانظر الى شفقة كل واحد منهم على اهل
الحجر قوله اعتراض عليهم يعني ليس مقصوده عليه السلام من القاء هذه الجملة الخبرية الى الملائكة
افادة مضمونها لهم ولا افادة كونه عالما بمضمونها لان كل واحد منهما معلوم عند الرسل
بل القاها في اثنائها اليهم ما اقتضاه المقام من الاعتراض واظهار الشفقة عليه
ولما كان منشأ اعتراضه قول الملائكة انا مهلكوا اهل هذه القرية اجاب الملائكة عنه بما
يحتمل ان يكون بيان تخصيص او بيان التوقيت الاول مبني على كون قوله عليه السلام ان فيها لوطا
اعتراضا والثاني مبني على كونه معارضة قوله صلة لتأكيد الفعلين واتصالهما فانه لو لم يذكر
كلمة ان لكان معنى الكلام وجود الفعلين اى مجيء الرسل ومساءة لوط عليهم السلام
بسببهم مرتبا على الاخر بزيادة اكد الحق بحيث صار كانهما وجدا في جزء واحد من الزمان هدام
قوله لان طول الزراع بيان لكونه طول الزراع وضيقه عبارتين عن القدرة والعجز فانه

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)